



لا إله إلا الله

الله  
رسول  
محمد

من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَعَاذُ اللَّهِ  
مَعَاذُ اللَّهِ

٤٣

معاذ ومعوذ ابنا عفران

تقبلهما الله

## بسم الله الرحمن الرحيم

معاذ ومعوذ ابنا عفراء..

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

القائل: (ألا إن رحى الإسلام دائرة)،

والقائل: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً

كما بدأ؛ فطوبى للغرباء).

هي ذي الحقيقة في أوج وضوحها وشدة ظهورها: أنه محال أن تقوم للإسلام قائمة، حتى تنطلق من نفس النقطة التي انطلق منها سيد خلق الله، ونبى الملحمة والرحمة، وليس ذلك فحسب، بل وندور في نفس الدائرة التي دار فيها مع الحق والعدل، متحملين غربة عاشها الصدر الأول، ولا بد أن يقاسيها عجز الأمة في زمان الفتح.

وقد بدت إرهاصات هذا الفتح تلوح في الأفق منذ أمد، وبدأت أمة الإسلام المعطاءة تُخرج كنوزها، وترفع صدى السيئة عن

كاهلها، فتلتمع شخصيّة المسلم في أبهى صورة وأحلى حلّة، كأنها قد خُبئت ليوم عرسٍ تُزفُّ فيه، في صراعٍ وسباقٍ بين الحقِّ والباطل بدا لأول وهلةٍ خاسراً في هذه البلاد كما في غيرها، انطلقت فيه ذئاب الروم وفرسان العجم كالسيل الجارف، وأبعدت في السباق ليرقص أتباعهم نشوةً وسروراً، وهم يشربون كؤوس خمرهم فرحاً وحبوراً، ودمعت أعين الموحدين وازداد بكاؤهم ودعاؤهم، وهم يعلمون أنهم ما راهنوا على فارسهم الإسلامي إلا لأنّ الله أخبرهم أن العاقبة لهم وأن: {الأرض يرثها عبادي الصّالِحون} [الانبيا: من الآية ١٠٥].

ثم... وفي لقطة تاريخية خاطفة سكت الجميع وساد الصمت، وألقى كفار العجم وأتباعهم كؤوس خمرهم، أو بالأحرى سقطت من أيديهم، وتَحجَّرت حناجر مُغنيهم، وبدت الفرحة والبسمة والأمل تملو جباه وشفاه أولئك الموحدين، وارتفع صوت حاديهم، وبدأت التكبيرات ترتفع وتعلو، وفوجئ الجميع بفرسان الإسلام وقد استوى الركب مع العلوج، ثمّ بهت جميعهم عندما أعلن حادي الجهاد عن ميلادٍ طال انتظاره لدولة الإسلام في بلاد الرافدين.

بُهِتَ كُلُّ كَافِرٍ وَحَاسِدٍ، وَفَرِحَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُوَحَّدٍ، وَبَدَأَتْ خَيْلُ اللَّهِ تَشْتَدُّ وَتَسْرَعُ، وَفِي غَمَارِ هَذَا السَّبَاقِ وَالنِّزَالِ أَطْلَّ شَابَانَ صَغِيرَانَ بَلِغًا لِلتَّوَّالِحِ، يَتَقَدَّمَانِ الرَّهَانَ وَيَسْبِقَانِ الْفِرْسَانَ قَائِلَيْنِ بِلِسَانِ الْحَالِ: "وَعَجَلْنَا إِلَيْكَ رَبَّنَا لِتَرْضَى"، فَكَانَ: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ابْنَا طَيْبَةَ.

أَوْ كَمَا يَسْمِيهِمَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ وَغَيْرُهُ: "مَعَاذُ وَمَعُوذُ ابْنَا عَفْرَاءٍ"؛ لِأَنَّ رُحَى الْإِسْلَامِ دَارَتْ فَكَانَ وَلَا بَدَّ أَنْ يَشَابَهُ الْخَلْفَ السَّلْفَ، فَجَاءَتْ الصُّورَةُ مُطَابِقَةً سُبْحَانَ اللَّهِ، فِي كُلِّ حُدُودِهَا وَأَشْكَالِهَا وَرُمُوزِهَا، وَتَغَيَّرَتْ فَقَطِ الْأَلْوَانُ بِتَغْيِيرِ الزَّمَانِ.

فَمَا قِصَّةُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَوْ الْغَلَامَيْنِ؟

قِصَّةٌ فِي الْحَقِيقَةِ تُذَكِّرُ، إِنَّهَا قِصَّةُ الرَّجُولَةِ الْمُبَكَّرَةِ، وَالْإِخْلَاصِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، سَجِيَّةً وَطَبْعاً وَهَبَةً وَمِنْحَةً، وَإِلَّا فَمَا لِصَغِيرَيْنِ مِثْلَهُمَا أَنْ يَقُومَا بِمَا سَنُذَكِّرُ.

نَعَمْ هُمَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ ابْنَيْ طَيْبَةَ، أَخَوَانِ شَقِيقَانِ مِنْ رَحِمِ طَاهِرَةٍ، وَأَصْلٍ طَيِّبٍ مِنْ سَلَالَةِ أَسَدِ اللَّهِ، وَأَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَقّاً ((مَنْ شَابَهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ)).

فَمَا أَنْ أَدْرِكَ الْغَلَامَانَ مَعْنَى الْجِهَادِ، حَتَّى تَبْلُورَتِ الْأَخْلَاقُ

والآداب في سلوكهما، فكانا بحق نِعَم الغلامين أدباً وهدوءاً، سمعاً و  
 وطاعةً لوالديهما، خدمةً وبراً لأمههما، وكل ما يمكن أن يوصف به  
 من كان في مثل سنّهما، إلا أن الغلامين وفجأة، بدءاً يلحّان  
 على عملية استشهادية، فكان الرّفص قاطعاً: (أنكما لم تبلغا  
 الحلم)، وبدأت الأيام ثقيلة بالنسبة للأخوين، وما أن بلغ محمد  
 الحلم بأيام حتى سقط أسيراً في أيدي المرتدّين، فساموه  
 العذاب ضرباً وسباً وشتماً، فكان الغلام يقول لهم: (والله إن  
 خرجت فسوف أنفّذ عليكم عمليّة استشهاديّة)، فكان من معه  
 في المعتقل يُسكتونه بصعوبة خوفاً عليه.

وبالفعل خرج محمد بعد عمليّة لتبادل الأسرى قام بها أبوه  
 البطل المجاهد "أبو محمد"، ولم لا؛ فهو أحد أركان دولة  
 الإسلام وفرسانها، وخرج محمد فرحاً بنعمة الحرّية وشاكراً لله  
 ثم لأبيه هذا، قائلاً: (أبي إن من نعمة الله عليّ أن أحسن الشكر  
 وإنّ خير ما أشكر به ربي أن أجود بنفسي، وما كنت لأعود إلى  
 السّجن بعد إذ نجاني الله منه وسوف أنفّذ عمليّة استشهادية  
 على المرتدّين).

لكنّ أخاه الأصغر (أحمد) أصرّ على أن ينفّذ قبله، فقد سجّل في

كتيبة الاستشهاديين، وله أكثر من شهرين ينتظرُ دوره، وبدأت المنافسة بين الأخوين، وأقبل الصّغير العجيب أحمد على الله بكاءً ونحيباً، فلا ينام من اللّيل إلا قليلاً رجاء القبول والحظوة بالوصول، وطلباً لرضا ربه ورؤيته، ومجالسة نبيّه عليه الصلاة والسلام، مستغفراً الله من ذنب لم يعرفه ومن معصيةٍ لم تسلك سبيلاً إليه، فهو لتّوه بلغ الرّشد (أربعة عشر عاماً ونصف)، وأقبل أحمد العجيب على الله، وأكثر من الدّعاء والبكاء، وكان الولد يحمل من الذّنوب جبّالاً.

وبدأ الولد يرى من آيات رحمة الله ما يثبّت فؤاده ويُبكي والديه، فكان في كلّ يوم تقريباً يرى الجنّة والحدور، وفوق ذلك يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يستيقظ ليصف رسول الله لوالديه، كأنك تقرأ وصفه في كتب السّلف، ويوماً ما وصفه أمام أحد إخوان أبيه فقال: (كانت لرسول الله شيبة)، فقال الرجل: (يا أحمد رسول الله لم يكن به شيبٌ كثير، بل مات وما في رأسه إلا بضعة عشر شيبة)، فنام في اليوم الثاني حزيناً لأن ما رآه كما قال له عمه ليس رسول الله، فجاءه صلى الله عليه وسلم في منامه ونام في حجر أحمد، فأخذ أحمد يعدُّ ما في رسول الله من الشيب وهو نائم ثم لما استيقظ عجل لأبيه قائلاً: (يا أبتِ

والله لقد عددت اليوم الشيب في رسول الله، فوجدته واحداً وعشرين شعرة بيضاء)، وسبحان الله! هذا ما عليه أكثر ومن وصف رسول الله، وأنى لغلام مثل أحمد بمعرفةٍ دقيقةٍ كهذه برسول الله صلى الله عليه وسلم!

وفي ليلة من تلك الليالي جاءته حوريةٌ تختالُ عنده فتخلع القلوب وتطير العقل من الرأس، فقال لها: (أنا كلما أراك أحكي لأمي عنك، ولكنها لا تصدقني لم لا تعطيني دليلاً منك أريه لأمي)، فأخذت شعرةً من شعر رأسها وأعطتها له ثم وضعها هو في جيبه، وفي الصباح سألته أمّه: (ها يا أحمد، ماذا رأيت الليلة؟)، فقال: (الشعرة)، وأسرع إلى جيبه، لكنه لم يرها، فانكسر قلبه واشتدّ حزنه، وحكى لأمّه ما جرى في الرؤيا، فطيّبت نفسه وأشفقت عليه.

وفي الليلة التالية رأى نفس الحورية، وقال لها: (لقد أعطيتني شعرةً من شعرك لكنني لم أجدها)، فأخذت شعرة من شعر رأسها، وفي دليل يخلع القلوب، نفخت فيها فطارت، وأراد أحمد أن يلتقطها، فقالت له: (دعها، ستجدها إن شاء الله في المصحف بسورة الكهف).

واستيقظ أحمد وكعادة أمه سألته، فإذا به يقول: (المصحف المصحف)، وأخذت أمه واحداً وأبيه وهو، وقال: (الشعرة في سورة الكهف)، وفتح هو مصحفه فوجدها بين صفحات سورة الكهف، نظرت إليها أمه والعجب يملأ قلبها، وكذلك دهش أبوه .

فأخذ المصحف وذهب به إلى الأخ المسئول الشرعيّ في منطقته، يحكي له الرؤيا إلى أن وصل إلى قصة الشعرة، فقال: (ها هي الشعرة إن كنت لا تصدق)، وفتح المصحف ليريه إياها، لكنه فوجئ ودون سابقة إنذار بريح هبت وطارت بالشعرة من المصحف، فلم يرها الأخ الشرعيّ.

ولما حكى لنا أبوه الرؤيا تعجبنا منها حتى وصل إلى قصة الريح والشعرة، فقال رجلٌ مفضالٌ كان معنا: (سبحان الله، أتدري يا أبا محمد لماذا أخذت الريح شعرة عروس ابنك، لأنه لا يحلّ لصاحبك أن يراها ويحلّ ذلك لك، فما كان لك أن تهتك ستر عروس ابنك، وحفظ الله شعرها أن يراه غيرُ ذي محرّم).

وصف أحمد الجنة كما رآها في المنام وصفا عجيباً، فكان مما وصف أنه دخل بيتاً عبارة عن درّة من ذهب، ليس له باب، فقيل له: أدخل يا أحمد، فقال: من أين أدخل؟، قيل له: سمّ الله



وادخل. فوضع يده على القبة فانفتح فيها باب ودخل، وقال: (كلما أردت أن أدخل أو أخرج من مكان، فقط أضع يدي على المكان فينفتح فيه باب)، وقال: (رأيت يا أبت عجباً في الجنة، رأيت نهريين من حليب وخمر، لكن العجب أنهما ليس لهما ضفاف، بل تجري على سطح الأرض ولا تنساب يمينا ولا يسارا)، وقال: (كلما جيء لنا بطعام في الجنة يكون من الطير فإذا أكلنا جاء اللحم فدعا العظم ثم الريش، ثم تطير مرة أخرى!).

وكان من أكثر ما أثار العجب فيما روى هذا الفتى، أنه رأى يوماً رؤيا عظيمة، فيها وصفٌ لعرش الرحمن، وهو يقيناً - وأنا أعرفه وأعرف أباه - لا يعرف شيئاً عن هكذا مواضع، فوصف أحمد العرش بعدما طار إليه هو والشيخ أبو مصعب والأخ يحيى أبو الحسن الشرعي، المذكورة قصته سابقاً في سير أعلام الشهداء، وبرهان على صدق الرؤيا كان معهم أخ رابع كنيته "أبو أحمد"، لا يعرف الفتى ولا أبوه أو المقربون منهما اسمه الحقيقي قط، رآه صاحبنا معهم باسمه الحقيقي وكنيته، حتى عندما ذكر أبوه الرؤيا لأبي أحمد، تعجب الرجل وقال: (سبحان الله! أسألك بالله هل تعلم اسمي قبلاً؟!)، قال: (والله الذي لا إله إلا هو لا أعلمه)، وكذلك ولده أقسم على ذلك، فعلم الجميع أنها رؤيا صدق إن شاء

الله.

رأى أحمد أنه طار ومن معه، ومع كل واحد منهم اثنتا عشر حورية، قال: (فطرنّا إلى أن وصلنا إلى مسافةٍ عند إحدى قوائم العرش ولم نصل إلى منتهاها، فقل لنا: نطيرُ إلى القائمة الأخرى فطرنّا مسافةً طويلة)؛ يقول: (قدّرتها أنا بنحو ستّ ساعات لكن من غير تعب ولا نصب)، قال: (فقل لنا نطيرُ إلى أعلى)، قال: (فطرنّا زمنًا طويلًا من غير تعب، حتى وصلنا إلى ياقوتة زرقاء كبيرة جدًا وعليها كتابة. أول من قرأ ما عليها الشيخ أبو مصعب، فما أن قرأها حتى أغمى عليه، وهكذا كلّ من يقرأ يُغمى عليه)، وقال: (وأنا أنظر ولا أعرف ما هو مكتوب، وماذا حدث لهم حتى جاء عليّ الدور، فإذا مكتوبٌ عليها "عرش الرحمن")، قال: (فما أن انتهيت من قراءتها حتى أغمى عليّ، فجاءت الحور فأيقظتني، ثمّ أيقظت من معي، وقيل لنا هيا نطيرُ إلى أعلى)، وإلى هنا أعتذر عن الاستمرار، فما ينبغي لمثلي أن يعدو قدره ويحكي هكذا رؤيا، وإنّي أتهيب ما زاد على هذا الحدّ، فليعذرني إخواني، وليدعوا لأحمد بالعلوّ والرّفعة.

دخل علينا رمضان ١٤٢٨ للهجرة، وفي السابع والعشرين منه،

تقدم محمدٌ نحيلُ الجسمِ عظيمُ الاطمئنان، بشاحنة مملوءة بالمتفجرات، إلى وكرٍ من أوكار الردّة، ومنطقة لم يسبق أن فُجّر فيها، أو نُفّذت فيها عملية استشهاديّة، فأحالت مركز الشرّطة والردّة إلى أثرٍ بعد عيّن، وكسرَ الله المرتدّين في هذا المكان، وبعد ساعات من ذلك تقدّم البطل أحمد إلى مبنى ووكرٍ من أوكار الردّة آخر، فكبر وفجّر نفسه وحصد أكثر من ست وعشرين مرتداً فالله أكبر وله الحمد حمداً كثيراً.

ولا نقول لأُمَّهما (طيبة) إلا أن اصبري واحتسبي الأجر والثواب، وعلمتُ أنها طلبت هي الأخرى عمليّة استشهاديّة، إلا أن القائمين بالأمر لم يوافقوا على الطلب، لأنّ النّساء يُمنعن إلا في ظروف ضيقة جداً، حيث يتعدّر على الرجال القيام بمثل هذه العمليات... وفي طيبة وعزاءً لها، كتبت بعض مشاعري ولا أدعي أنها شعر فقلت:

### أمّ الشهيد

أكرمُ بها من حرّةٍ وحسيبة	بلّغ سلامي للعفيفة طيبة
هل بعد نفسٍ رضيعها فتطيبه	أبكتُ عيوني بالمكارم جوداً
ترجو دواماً للحياة بطيبة	تبغي الثّواب من الكريم جزيلاً

كانت تحب صغيرها فتذاكرا      كيف الفراق ولا فراق نُصيبه  
 قالت بنيّ إلى الجنان ترفرف      تلك الديار ودونها فمُصيبة  
 أسرع بنيّ إلى المعالي شامخاً      إنني وراءك فالحياة عصيبة  
 أكرم أباك فلا يراك في الشقا      وأخلص لربك بالرجاء تجيبه  
 فمضى الصغير كالشمسٍ مشرقة      قالوا وداعاً فالجنان رغبة

وفي ختام قصتي هذه يبقى السؤال: هل قُتِل محمد وأحمد ابني  
 طيبة وإخوانهما تحت راية عميّة باطلة كما يدّعون؟..

وهل مثل محمد وأحمد منتحرين في جهنّم، كما يدعي علماء  
 السلاطين أو الشياطين...!

وهل ستذهب هذه الدماء سدى، أو يخزيها الله ويخزي حملة  
 الراية بعدها..؟!

وفي ختام مقالتي هذه أسأل الله أن لا يحرمني أجر ولديّ  
 محمد وأحمد، فقد بلغني أنهما كانا سعيدين بأني كنتُ يوماً ما  
 أدّرّسهما القرآن، وأسأله أن لا يخيب ظنّهما بعمّهما، ولا يفتني  
 بعدهما، وأن يحشرنني وإياهما في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر